الدكتور إلياس فرح

في معنى البعث وإضافاته الفكرية





في معنى البعث وإضافاته الفكرية

الدكتور إلياس فرح

لقد بدأ البعث جواباً على سؤال كبير تطرحه الأمة العربية على نفسها في هذه المرحلة التاريخية من حياتها ومن تطور العالم المعاصر : ما هو طريق النهضة ؟ لذلك كانت للبعث معان عامة تحدد هويته الأساسية . كما كانت له معان خاصة تحدد مهامه الكبرى في كل مرحلة من مراحل النضال على طريق النهضة القومية .

فالبعث في هذه المرحلة بالذات ، يعني التصدي لمؤامرات التسويات والمحاولات الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية وإلى ضرب مواقع الثورة العربية ، وإحباطها . كما كان البعث في مرحلة ما بعد ٥ حزيران ، يعني ربط الثورة الفلسطينية بالثورة العربية ، أي تحويل الهزيمة إلى منطلق للنصر . وكان بعد الانفصال يعني النضال من أجل تجديد الوحدة . وكان خلال الوحدة عام ١٩٥٨ ، يعني تحويل التجربة الوحدوية الأولى إلى ثورة دائمة تطلق فعالية الجماهير العربية وتخلق ثورة الوحدة وتشق طريق التحرير وتبني المجتمع الاشتراكي. كما كان معنى البعث في مرحلة ما بعد العدوان الثلاثي على مصر نضالاً من أجل تحقيق وحدة مصر وسورية ، وكان قبل ذلك وطيلة مرحلة الخمسينات ، عملاً دائباً لتعزيز وحدة النضال العربي وخلق سياج قومي لدعم ثورة الجزائر ولإسقاط مشاريع الاحلاف الاستعمارية ، ....

وكان بعد هزيمة ١٩٤٨ يعني الكشف عن جوانب الخلل في الواقع العربي وإعطاء الغزو الصهيوني المدعوم بالامبريالية ، حجمه الحقيقي في ميزان التحديات التي تواجه حركة الثورة العربية. واعتبار القضية الفلسطينية الساحة الرئيسية لنضال العرب من أجل الوحدة والتحرر والتقدم .

كما كان البعث خلال مرحلة الاربعينات فكرة مناضلة تتحدى واقع التجزئة والتخلف والاستغلال الطبقي والامبريالية ، وممارسات نضالية تضع الفكرة الانقلابية في موضع الامتحان تغنيها وتغتني بها ....

بيد أن المعاني الخاصة التي تلخصها المهمات النضالية المرحلية ، لا تستوعب المعاني الاساسية والجوهرية لنشوء البعث ، المستمدة من تراث الحزب الفكري ، ومن طبيعة المرحلة التاريخية للأمة ، ومن السّتراتيجية النضالية الثابتة التي تحدد خطواته المرحلية والظرفية .

فما هي هذه المعاني الاساسية والجوهرية للبعث ؟

١ – البعث هو (طريق النهضة) ، طريق استرجاع الهوية والقضاء على الضياع وتجديد الشخصية فمجتمعنا(١) (نتيجة لما آل إليه من انحراف وتأخر وتشويه ، بحاجة إلى أن يغالب نفسه ويناضل نفسه ، بحاجة إلى بذل جهد ومشقة كبيرة حتى يستر د ذاته الحقيقية وأصالته) . لذلك فإن البعث هو بعث الروح . فهو روح جديدة تخترق واقع الأمة ، وهو (صفحة جديدة من تاريخ النهضة العربية) افتتح بها (عهد البطولة) عهد (الذين يجاهرون بأفكارهم ولو وقف ضدهم أهل الأرض جميعاً).

فنضال البعث هو (السبيل إلى بعث الروح العربية وتحقيق الانقلاب العربي) . وهو ينطلق من الشعور بالحاجة إلى ايقاظ الدوافع العميقة في الشخصية الانسانية ، الدوافع الروحية ، لأن (الدافع الروحي العميق لا يسيطر على المادة والوسائل فحسب ، وإنما يخلقها أيضاً) . فالانقلاب (يجب ان يتناول الروح مبــاشرة وان لاينحصر أو يتوقف عند حدود الأشكال والمظاهر) .

لأن التبديل السطحي (الذي لا يمس الروح والذي لا يفتح الفكر والذي لا يهز الخلق ويقومه والذي لا يفجر الايمان نتيجة المصاعب) لا يلبي حاجة الأمة ولا يعبر عن طريق البعث الذي ينبغي أن يكون (المصنع

---

(١) في سبيل البعث (ط ٧) ص ٩ و ٦٥ – ٦٩ و ٧٠ .

للأدوات الانقلابية الامينة الوفيـــة) وللمناضلين ذوي (النفوس القوية المثالية التي تتعفف عن المصلحة الشخصية) وتنظر إلى الحياة نظرة بطولية.

٢ ـ البعث (إيمان) ، لأن (٢) (فلسفة البعث العربي تتلخص في هذه الكلمة : ثقة الأمة العربية بنفسها ، واعتمادها على قواها) . وهذه العقيدة (ترتكز على أقوى دعائم الواقعية والعلم ، وهي ان مصلحة المجموع العربي هي في اتجاه هذه الحركة) .

لهذا فإن نشأة البعث ومجرد ظهوره يعتبر (حافزاً) وموقظاً لهذه المصلحة (التي يشعر بها المجموع شعوراً كامناً) . فالبعث يمثـل اذن ارادة العدد الأكبر لا (الاقلية المشوهة الشاذة المستعبدة لأنانيتها ومصالحها الخاصة ، لأنها لم تعد من الأمة) .

وقوة البعث هي بالاضافة إلى كونها (قوة العدد الأكبر من مجموع الشعب العربي) ، هي (قوة التاريخ العربي وقوة التاريخ الانساني في تقدمه نحو الحرية والاشتراكية والوحدة) .

٣ ـ البعث (حب قبل كل شيء) (٣) يرفع الانسان العربي (فوق حدود فرديته وأنانيته) عندما يعلم (انه واحد من الملايين الذين تعاقبوا خلال القرون والأجيال)، والذين (كتبوا تاريخ أمتهم ورفعوا بنيانها وحضارتها) وانه مسئول عن مستقبلها ، وان الرباط القومي هو المحبة التي تقود إلى التضحية . لأن التضحية وحدها هي طريق البطولة .

٤ ـ البعث (هو الانقلاب) (٤) . هو (توحيد الوطن العربي) هو (بعث الروح في أمتنا) هو أن (يعود العربي والأمة بمجموعها إلى الموقف الإيجابي الفاعل الإرادي السليم) . هــو (هذه النظرة الانقلابية التي تفهم النضال بأوسع معانيه . فهو في آن واحد نضال مع القوى الخارجية (الصهيونية والقوى الاستعمارية) . وهو نضال ضد الأوضاع الفاسدة

---

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٠ ـ ٤٢ .

(٣) معركة المصير الواحد (ط ٤) ص ٥٩ ـ ٦٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٣٩ ـ ١٤٢ .

في داخل الوطن ، سواء أكانت ظلماً سياسياً أم اجتماعياً ، استغلالاً أم جهلاً ، وضعفاً في الفكر وتعصباً ونقصاً في المحبة والتسامح) . البعث (هو انقلاب بالمعنى العميق ، لا ينحصر بالسياسة ، وإنما يتناول الفكر والروح والتربية الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية ...) .

٥ — البعث هو (الانبعاث من الداخل) (٥) . هو (نتيجة حاجة إلى معالجة مشاكل الوطن العربي معالجة جذرية وكلية) . ومنطقه ارتفاع (فوق كل من المنطق القومي المتعصب والمنطق الأممي المتعسف) . وربط بين (القومية والانسانية حتى تكاد تصبح إحداهما مرادفة للأخرى) . والبعث هو (حركة قومية بمعنى انها من داخل الأمة ، وانها واثقة من تجاوبها مع حاجات الأمة ، وانها تقوم على الوعي الشعبي ، الذي هو أكبر قوة تستند اليها) .

٦ — البعث (اخلاق وحضارة ونظرة اشتراكية) فهو (حركة تقدمية تحررية) . وهي بذلك (حركة عميقة جداً تتصل بالمفاهيم الانسانية الخالدة) (٦) . ولابد لها من (نظرة اخلاقية ونظرة فلسفية عامة) ، ونظرتها الاخلاقية تنحصر في الأمر الآني (ما دام العيش الطبيعي الكريم محرماً على الأكثرية الساحقة من الشعب ، نتيجة للأوضاع الفاسدة ، فإن المؤمنين بحق الشعب لا يقبلون ان يشاركوا في عيش يعتبرونه الآن غير مشروع ، ويرونه ظلماً للشعب ، لذلك فهم يفضلون عليه حياة المبدأ) .

٧ — البعث (حركة أصيلة صادقة) ، فهو (حركة انبثقت من قلب العروبة ومن أعماق التربة العربية ومن صميم مشاكل أمتنا . فهي حركة ، لها موقفها الخاص كالكائنات الحية التي تنمو حسب قوانين ثابتة) (٧)

---

(٥) نفس المصدر ، ص ١٣٩ — ١٤٢ .

(٦) في سبيل البعث ، ص ٣٤ — ٣٥ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٧ — ٣٩ .

انها (حركة تاريخية ، تقوم على الروح العلمية والفكر المنظم ، يلتقي فيها الوعي على احسن اشكاله بالإيمان في أعمق صوره) .

٨ـ(البعث حركة حية) (٨) تحتفظ بتوترها الداخلي لتعبر بشكل دائم عن يقظة مجتمعنا العربي وانبعاثه ، وتنظر إلى ذاتها وإلى الواقع (نظرة حية) تتجاوب مع (يقظة الروح العربية ومع حاجة أمتنا العميقة إلى الانطلاق والخلق) فالبعث يدرك بأن (كل حركة معرضة لأن تفقد من عفويتها ، من حريتها ، من أصالتها ، وان تطغي عليها الشعارات التقليدية ، أن تطغي عليها الألفاظ ، ان تصبح صنماً ، وأن تصبح أفكارها أصناماً) . لذلك فإن البعث ينفر من (تمجيد الظواهر والشكليات والعناوين والالفاظ) حتى لا تتجمد حركته في نصف طريقها . وهو (يقدر دور الافراد الذين لا يستعبدهم الجو الجماعي ، والذين يحتفظون بحريتهم ، باستقلال تفكيرهم ، بصفاء نفوسهم حتى ولو كانوا مشاركين في اندفاع المجموع .)

٩ ــ البعث (طريق عربي مستقل) (٩) ونظرة جديدة إلى الوحدة العربية . فهي (تمثل شيئاً جديداً في حياة العرب في ناحيتي الفكر والعمل). فلأول مرة (يظهر مفهوم ثوري للوحدة العربية) وتقترن الدعوة (إلى وحدة النضال العربي) بالعمل على تحقيق هذا النضال تحقيقاً فعلياً . فالبعث منذ تأسيسه (أول من تجاوب مع نضال المغرب العربي ، وأول من أعلن عن مبدأ استقلال الطريق العربي إلى الاشتراكي ، وأول من دعا إلى سياسة الحياد ، ودعا إلى حل ثوري جديد لمشاكل العالم ، يحترم حرية الانسان واستقلاله) .

١٠ ــ البعث (حزب صاحب رسالة) (١٠) . فهو يدرك بأن

---

(٨) نفس المصدر ، ص ٤٣ ــ ٤٦ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٥٢ ــ ٥٥ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٥٩ ــ ٦٤ .

(الصورة الصادقة للحزب الذي تحتاجه أمتنا) ، هو الحزب الذي (يجعل هدفه خلق أمة أو بعثها شريطة أن يحقق هذا الوصف في نفسه أولاً ، أي أن يكون هو أمة مصغرة للأمة الراقية التي يريد أن يبعثها) .

فالبعث قد حدد بصورة واضحة الفارق الجوهري بين وظيفة الحزب في أمة كأمتنا ، وأوضاع كأوضاعنا ، وبين وظيفته في أمم أخرى وأوضاع مختلفة ، وعرف (ان الحزب الذي تناديه الأمة العربية من أعماقها هو الحزب الذي يجعل الأمة غاية له لا الدولة . وانه يكون هو أمة مصغرة تكون نموذجاً للأمة الشاملة) .

ورسالة البعث هي (ان يكون أمة الانقلاب قبل ان يحقق انقلاب الأمة) . أي ان يكون بينه وبين الواقع الذي يثور عليه (فرق جوهري لا يقبل النسبية) وان يبرهن على (عقلية جديدة ، وروح جديدة ، وخلق جديد ، لا تجمعه بالواقع الفاسد أية رابطة) .

١١ ـ البعث حزب (الاصالة والحداثة) (١١). حزب (التراث القومي والمعاصرة) .

فالبعث الذي هو (حركة انقلابية متجهة بقوة وعنف نحو المستقبل) ليست (حركة فاقدة الصلة بالماضي) لأن البعث (يميز بين الماضي كروح والماضي كشكل) والتشبع بالتراث القومي (لا يعني العبودية للماضي والتقاليد ولا فتور الابتكار والتجديد ، بل يعني العكس تماماً) ، فالاتصال بالتراث (يزيد في اندفاعنا ويقوي انطلاقنا ويضمن اتجاهنا ، فلا نكون حائرين ، بل نكون واثقين ان انطلاقتنا تمتد على أساس متين هو التشبع بروح أمتنا ، والمعرفة الواضحة لأنفسنا ولواقعنا والاحساس الصادق بحاجاتنا ، واكتشاف التناقض بين واقعنا وحقيقتنا ، والشعور بالمسؤولية عن انقاذ الأمة). الا ان الاتصال بالتراث في نظر البعث لا يكون إلا بالنضال (فالسير الصاعد في طريق الانقلاب هو السبيل الوحيد

---

(١١) نفس المصدر ، ص ٧٨ – ٧٩ – و ٨٧ – ٨٨ و ٩٢ و ١٠٢ .

لإلتقائنا بماضينا . وهذا الالتقاء لا يكون الا ارتقاء . فنحن نسير نحوه سيراً تقدمياً إلى الأمام ، ونرتفع اليه ونصعد . فقد كان ماضينا انقلاباً . ولن نبلغ مستواه ، ولن نلتقي به إلا عن طريق الانقلاب) فالابداع والحرية يلتقي ماضينا بمستقبلنا . وعندئذ يشكل الماضي وحدة حية مع الحاضر والمستقبل .

١٢ – البعث (مفهوم جديد للحياة القومية) (١٢) قوامه (الايمان بالقيم الروحية الانسانية وبقيمة الروح العربية الاصيلة ، ومظهره الانفصال الحاسم عن مفاسد الواقع ومكافحتها في طريق صاعدة شاقة) لذلك كان البعث انقاذاً للقومية العربية (من مفهومين منحرفين :

مفهوم القومية المجردة ، ومفهوم القومية الدينية) . فهو (حركة قومية تتوجه إلى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ، وتقدس حرية الاعتقاد ، وتنظر إلى الأديان نظرة مساواة في الأحترام . ولكنها ترى إلى جانب ذلك في الاسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة في تكوين التاريخ العربي والقومية العربية .) وهو حركة تعتبر الألحاد (موقفاً زائفاً في الحياة لأن الحياة معناها الإيمان) ، كما تعتبر ان (الدين الحقيقي هو دوماً مع المظلومين ومع الثائرين على الفساد، لأنه لا دين مع الفساد والظلم والاستثمار) . فالمناضل البعثي (يجب ان تتوافر فيه شروط صعبة جداً وتكاد تكون متناقضة ، فهو حرب على كل تدجيل باسم الدين والتستر وراءه لمنع التطور والتحرر والابقاء على الأوضاع الفاسدة والتأخر الاجتماعي . ولكنه في الوقت نفسه يعرف حقيقة الدين وحقيقة النفس الانسانية التي هي ايجابية قائمة على الإيمان) . اذن على المناضل البعثي (عندما يحارب الرجعية ، ان يتذكر دوماً انه مؤمن بالقيم الايجابية) .

١٣ – البعث (حزب الوحدة) (١٣) . فالوحدة العربية هي أبرز شيء في فكرة البعث ، والتنظيم القومي هو طابعه المميز . والوحدة بنظر

---

(١٢) نفس المصدر ، ص ١٦٦ – ١٦٧ و ٢٠٤ و ٢٠٧ و ٢١٥–٢١٦

(١٣) نفس المصدر ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

البعث (هي نتيجة للانقلاب الروحي في المجتمع العربي ، وهي أيضاً في نفس الوقت سبب من أسباب هذا الانقلاب) .

انها (شيء ينبعث من أعماق حياة العرب) وليست مجرد (نقاط التقاء مشتركة بين الأقطار العربية) ، لأننا نكون بهذا الشكل أعطينا مشروعية وترسيخاً للتجزئة .

فالوحدة ثورة على التجزئة وعلى التخلف وطريقها هو (النضال الموحد). والبعث (ثورة في تاريخ الأمة العربية) لأنه (طرح قضية الأمة العربية طرحاً ثورياً لأول مرة منذ مئات السنين ، واعتبر الأمة العربية في مرحلة ثورة تاريخية ووضع قضية الأمة العربية ومصيرها ضمن قضايا العالم ومصير الانسان) . وقد كان لقضية الوحدة مكانة بارزة في فكرة البعث ونضال البعث (لأنها كانت معرضة لأن تظلم حتى من الذين ليس لهم مصلحة ، ولأن معركة الوحدة أصعب معركة) .

١٤ ــ البعث حزب (الطبقة العاملة) (١٤) . فالبعث (جزء من الطبقة العاملة) والاشتراكيون الصادقون (يعتبرون أنفسهم جزءاً من الطبقة العاملة) والحكم الاشتراكي (هو الحكم الذي تقوده الطبقة العاملة) . والقومية العربية (مرادفة للاشتراكية) و (النضال القومي هو نضال في سبيل تحقيق الاشتراكية)، ولا يمكن ان نكون اشتراكيين ، أن ندعي الاشتراكية ، وان نبقي (دور الطبقة العاملة محدوداً ، مراقباً، وان ننظر اليها وكأننا لسنا منها وليست منا) .

١٥ ــ (البعث حركة تاريخية تعمل لمئات السنين) والحزب التاريخي (هو الذي يطرح مناضلوه قضيته على مستوى الحياة والموت ، والقبول بالموت كضمانة متجددة لجدية دوره التاريخي) . والعمل الفدائي (يمثل الصيغة العملية لتحقيق هذه الصورة وهذا المستوى على صعيد الحزب) فحزبنا (لا يمكن ان يكون مدافعاً ، خائفاً على اعضائه همه الحرص عليهم .. حزبنا لا يمكن ان يكون إلا مهاجماً مجازفاً بأعضائه لكسبهم

(١٤) نقطة البداية ، (ط٣) ص ١٣٢ ، وفي سبيل البعث ، ص ٣٠٥ .

وشدهم اليه بمقدار ما يعرضهم للخطر ولكل ما يمتحن إيمانهم وثوريتهم وأخلاقهم الأصيلة ويثبتها ويزيدها عمقاً وصلابة) .

تلك هي المعاني الأساسية الجوهريـــة للبعث ، التي تشكل ملامح شخصيته المتميزة وأهدافه الكبرى ومهماته الثابتة ودوره الرئيسي ، على مستوى المرحلة التاريخية ككل .

بيد ان هذه المعاني تأخذ عبر ظروف النضال القومي ومراحـــله الجزئيه ، أشكالاً خاصة ، ويتحدد من خلالها المعنى الأساسي للبعث لذلك لابد ان يتحدد المعنى التاريخي للبعث في كل مرحلة من هذه المراحل الجزئية على ضوء شبكة العوامل المحيطة بالنضال العربي. فالبعث بعد عام ١٩٤٨ كان يعني (الرد على النكبة) ، وبعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ كان يعني النضال من أجل (الوحدة بين مصر وسوريا) التي تحققت عام ١٩٥٨ ، والنضال من أجل تجديد الوحدة بعد الانفصال ، ثم (العمل الفدائي) و (الرد على هزيمة حزيران) فكانت ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ .

اما في هذه المرحلة ، فإن معنى البعث يبرز بالدرجة الأولى في احباط مؤامرة التصفية للقضية الفلسطينية ، والنضال من أجل تعبئة قوى الرفض ، والكشف عن موقع المحاولات الاستسلامية من تطور الواقع العربي .

المساهمة الفكرية لحزب البعث

عندما نتناول بالبحث المساهمة الفكرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في ثلث القرن الأخير ، لابد من التأكيد أولاً ، على جملة من الحقائق :

١ — فلابد من الاشارة قبل كل شيء ، إلى الأهمية التي أولاها الحزب للفكر ، أي إلى المرحلة التمهيدية لنشوء الحزب ، التي انقضت بين اعوام ١٩٤٠ — ١٩٤٧ ، والتي كانت بالدرجة الأولى مرحلة انضاج فكري لأيديولوجية البعث . فالبعث ولد « فكرة مناضلة » ، تدرك

بوضوح بأن ما من عمل ثوري عميق وتاريخي دون فكر ثوري علمي مستوعب للمرحلة التاريخية التي تمر بها الأمة .وليست العبارة التي وردت في حديث لمؤسس الحزب والتي تقول :

« الفكر في حد ذاته قوة تاريخية ، وقوة ثورية لا تقدّر . فمجرد وضع القضية العربية في صيغة فكرية شاملة كان أول مساهمة في تركيز الحركة الثورية العربية على أسس صلبة » .

ليست هذه العبارة سوى المحور الذي انطلقت منه وأكدت عليه أحاديث ومقالات مرحلة الأربعينات ومطلع الخمسينات سواء في نقدها للتفكير المجرد عام ١٩٤٣ ، أو في نقد التفكير الرجعي (العرب بين ماضيهم ومستقبلهم عام ١٩٥٠) أو في التركيز على ان « الحركة الثورية لا تستطيع ان تسيطر على ذاتها وعلى الظروف إلا إذا كانت في الوقت نفسه حركة فكرية شاملة أي كانت من الناحية الفكرية في مستوى القضية التي تحاول حملها » .

ولم يكن هذا التأكيد نابعاً من تقدير لأهمية النظرية الثورية في العمل الثوري فحسب ، بل نتيجة لنظرة ذات كثافة حضارية إلى المشكلة القومية . وهي نظرة نابعة من حاجات المرحلة التاريخية للأمة العربية وللعصر الذي نعيش فيه ، ومن موقف من الماضي والحاضر والمستقبل :

« إذا نظرنا إلى يقظة العرب الحديثة ، نجد ان الدور الأول الذي مرت به هذه اليقظة تنطبق عليه صفات التأثر المنفعل السلبي . فكل مظاهر اليقظة ، انما هي رد فعل لما سبقها من حالة الجمود والانحطاط فكأنها تقلد تقليداً حرفياً الحالة التي قامت لتنفيها وتتمرد عليها . ان الدور الأول من يقظتنا القومية يمثل هذه الحالة السلبية ، ولكن لا يجوز ان يستمر هذا الدور ، فثمة وضع نفسي فكري للحركة الاصيلة لا يمكن ان تأتي جواباً على حالة طارئة في الأمة . فالاستعمار والاقطاعية والاقليمية حالات سلبية طارئة .. فهل يجوز ان تكون نظرتنا إلى القيم ونظرتنا إلى المستقبل

مستوحاة كلها من هذه الحالة المرضية الطارئة .. وهل نكتفي بالتعبير عن رد فعل آلي في الأمة ضد هذه الامراض أم نلتفت إلى ارادة الأمة في الحياة الحقة التي تصبو اليها . أي في النضال من أجل تحقيق الشيء الإيجابي وهو : المجتمع العربي الناهض المتقدم الذي تسوده المبادىء والمثل العليا من عدل ومساواة وحرية » .

وعلى ضوء هذه الكلمات التي قيلت عام ١٩٤٧ في مقالة (البعث العربي موقف إيجابي) يحدد الاستاذ ميشيل عفلق الدور الفكري للبعث بقوله :

« ان الذين تتبعوا حركة البعث العربي في الناحية الفكرية على الأقل ، يستطيعون ان يلاحظوا منذ بدء الحركة اهتمامنا البالغ بأن نجعل من حركة البعث الخطوة الايجابية التي تتطلع إلى الحل الذي يتفق مع حاجة الأمة الايجابية . فهناك حالة مرضية في مجتمعنا ، وهناك أجوبة مصطنعة عليها . ولا بد من الناحية الفكرية من نظرة تمثل التاريخ العربي الحي ضد الرجعية وضد التقدمية المصطنعة » (١) .

٢ – ان هذا المنطلق في التشديد على أهمية الفكر الملتزم بقضية الأمة وبمسؤولية تحريرها وتوحيدها وتقدمها ، أي على أهمية الفكر المعجون بالنضال ، قد كان بدوره نتيجة لإدراك حقيقتين أساسيتين :

اولاهما : ان العرب لا يستطيعون ان يخرجوا من مرحلة الضياع والتخبط الفكري وردود الفعل ، الا إذا نظروا إلى قضاياهم نظرة داخلية عميقة وإلا إذا استوعبوا حركة النضال والثورة في العالم أجمع وخاصة في القارات التي استوطن فيها الاستعمار والتخلف والاستغلال والظلم قروناً طويلة .

ثانيهما : ان هذه النظرة الداخلية المستوعبة للجدل الخاص لتطور المجتمع ولتفاعل تناقضاته (داخل اطار المرحلة التاريخية الراهنة للعالم) لا تكون ممكنة ولا عميقة ولا صحيحة ، إلا إذا كانت نتيجة لمعاناة نضالية

---

(١) معركة المصير الواحد ، ص ٣٧ .

فكرية وعملية في آن واحد . فالنظرة الأصيلة الصافية التي تكتشف حقيقة الأمة في هذه المرحلة التاريخية ، لا يمكن ان تكون صيغة فكرية جاهزة متبلورة خارج اطار الواقع القومي . ولكنها في الوقت نفسه لا يمكن ان تكون عملية ولا واقعية إذا لم تستوعب تيارات الفكر العالمي المعاصر والتراث الثوري العالمي أيضاً . وهذا الالتحام بين الفكر والممارسة النضالية بين القوانين العامة والقوانين الخاصة لحركة التطور الاجتماعي في مرحلة اليقظة القومية الراهنة ، هو المعيار الأساسي الذي انطلقت منه حركة البعث فكان همها الأساسي هو الكشف عن الحاجات الأساسية لنضال الأمة لإسترداد وحدتها وحريتها وتقدمها .

٣ — ثم اننا لا بد ان نشير إلى ان الفكر الذي طرحه حزب البعث قد بدا كما لو انه تعبير عن حاجات مرحلة تاريخية بكاملها ، وعن طموح الأمة العربية . وان فكرة البعث ذات بعد فكري يتجاوز السياسة وذات بعد قومي يتجاوز الاقطار ، وذات بعد مستقبلي يتجاوز إطار الحاضر المطروح . ولم يكد يتبلور هذا التفكير الجديد حول نظرية العلاقة الجدلية بين النضال من أجل وحدة الأمة العربية ، ونضالها من أجل التحرر ، ومن أجل الاشتراكية ، حتى أصبح يشكل ايديولوجية المرحلة الثورية العربية وحتى أصبح قاسماً مشتركاً للمنطلقات الفكرية لفصائل الثورة العربية .

وكان لابد ان يصطدم بالعديد من التيارات الفكرية والسياسية التي سبقت نشوءه ، كتيارات الفكر القومي التقليدي اللا اشتراكي والفكر الرجعي والفكر الاقليمي والفكر الأممي المجرد والفكر التقدمي القطري ... الخ .

فكان الحوار بين الفكر الجديد (الفكر الوحدوي الثوري الاشتراكي التحرري) وبين التيارات السائدة حواراً صارماً فيه ضيق الفكر المناضل بالفكر المستغِل للأوضاع الجائرة التي تعيشها الأمة العربية ، وضيق الفكر الوحدوي بالفكر المستسلم للتجزئة الخاضع للأطر القطرية المستغِل لها ،

وضيق الفكر التحرري بالفكر الذي يفصل المعركة الخارجية مع العدو عن المعركة الداخلية مع الأمراض الداخلية التي تشل الارادة العربية ، وميزة الفكر الثوري الحقيقي عن الفكر الذي يدعي الثورية ويتحمل مواقف تتجاهل الاستعمار أو تسكت عنه أو تتبنى مواقف ومخططات لا علاقة لها بالمصلحة الوطنية ولا بالمصلحة العربية القومية ، وضيق الفكر القومي بالفكر الاقليمي الذي يحول التجزئة إلى واقع فكري له فلسفة وتبريرات نظرية تخدم المخططات المعادية للوحدة وتضلل عن حقيقة المشكلة القومية .

لذلك كله كان لابد لهذا الفكر الجديد الذي طرحه البعث ان يتعرض لعداء متعدد المصادر والاتجاهات ، وبالتالي ان تحاط حركة البعث منذ نشوئها بموجات من الكراهية حاولت ان تخلق حواجز نفسية بين عدد كبير من المثقفين من الأجيال التي رافقت نمو البعث وتطوره وبين فكر البعث ، وان تحول دونهم ودون مجرد الاطلاع على تراث البعث الفكري بله استيعابه والتفاعل معه . لذلك بقي هذا الفكر مجهولاً من أولئك الذين وضعوا في موضع العداء له ، أو كانوا خصوماً سياسيين لحركة البعث .

٤ — ثم ان فكر البعث قد بدا أيضاً كما لو انه يشق طريقاً مستقلة وان فيه من البتر والقطع مع حركة الفكر السياسي السائد أكثر مما فيه من الوصل والاستمرارية . لذلك كانت لحركة البعث شخصيتها الفكرية الايديولوجية الخاصة وبنيانها التنظيمي القومي اللذين يميزانها بطابع استقلالي سواء في النظرة إلى المشكلة القومية أو في طريقة معالجة هذه المشكلة . لذلك بدت كما لو انها تشكل تياراً وخطاً مستقلاً وليست مجرد حلقة في سلسلة التطور التاريخي للفكرة القومية في الوطن العربي .

وبقدر ما كان هذا الوضع تعبيراً عن موقف ثوري متميز ، عبر عنه الاستاذ ميشيل عفلق في كلمته بعد قيام وحدة ١٩٥٨ التي استعرض فيها دور الحزب في الحياة القومية منذ تأسيسه حتى قيام الوحدة حيث

يقول (١) :

« لقد كان ظهور حركة البعث ثورة في تاريخ الأمة العربية بمعنى ان حركة البعث لم تكن استمراراً لما قبلها ، بل كانت عبارة عن انقطاع أو بتر ارادي واعٍ ، وارتفاعاً إلى مستوى جديد من التفكير والأخلاق والجو الروحي ، رغم ما انتابها من ضعف ونقص ، وما داخلها من شوائب » .

بقدر ما كان هذا الموقف أيضاً مدعاة لأن تتحمل فكرة البعث أكبر قسط من المشقة في مقاومة ترسبات الماضي وشق الطريق الجديدة ، وان تتحمل أنواعاً شتّى من الظلم ، ومن جهات لم تقتصر على خصوم الفكرة بل شملت أيضاً أولئك الذين اقتبسوا منها وتتلمذوا عليها وحتّى من ابنائها أولئك الذين عجزوا عن النهوض بالتزاماتها والوفاء لها أو الذين لجأوا باستمرار لحجب انتهازيتهم أو ضعفهم أو تسلطهم بأستعارة اسلحة عقائدية . فقد كانت هذه الحركة قاسية على نفسها وقاسية على الآخرين قسوة المقاييس الثورية التي لا تعرف المجاملة ولا المهادنة تمارس النقد والنقد الذاتي في أوسع اشكالهما ، وتستعصي على محاولات التطويق وتتمرد على التزييف وتقاوم الاضطهاد وتشق دربها وسط الآلام ، وسط حرب دائمة شنت على البعث فكرة ومؤسسة وقيادات . وما يزال فكر البعث يتحمل آثار الظلم الذي تجلى في عدة مظاهر أهمها :

أ — الموقف العدائي الانفعالي ، المتمثل بموقف الرفض السابق للتجربة .

ب — موقف التجاهل أو الجهل به وعدم الاطلاع عليه .

جـ — عدم دراسته دراسة علمية والاكتفاء منه بالانطباعات السطحية .

د — الهجوم والتهجم اللاموضوعيين على هذا الفكر .

---

(١) في سبيل البعث (الطبعة السابعة) ص ٢٧٥ .

وبمقدار ما كانت هذه المواقف بعيدة عن الموضوعية وكاذبة حيناً ، لاتحمل فضيلة الأخلاص للحقيقة ، كانت فكرة البعث تحمل معها منذ انطلقت تعبر عن نفسها صفة الفكر الذي يفتش عن الحقيقة . تلك الصفة الّتي ميزته بطابع خاص وكلفته مشقة الصراع مع الأفكار الّتي تطرح القضية العربية طرحاً خاطئاً أو زائفاً أو سطحياً أو جزئياً ، أي مشقة البحث عن الحقيقة ومرارة النضال من أجل كشفها والدفاع عنها والعمل على تثبيتها . لذلك احتلت فكرة البعث حتّى داخل الحركة الّتي حملت اسمها ، مكانة الحكم والرقيب الدائم على المواقف وأنواع السلوك والتصرفات ، ومدى بعدها أو قربها من المقاييس الّتي تفرضها الفكرة ويقررها الالتزام بتحقيقها .

٥ — لقد انعكست المشكلات العملية لبنيان حركة البعث وتطورها وعلاقتها الخارجية مع القوى الأخرى ، على فكرة البعث ذاتها . فتحملت بسبب ذلك الآثار السلبية لتلك المشكلات . ولعل ابرزها قد كانت في المرحلة الأولى ، مع الأحزاب الشيوعية خلال المرحلة الستالينية ثم مع عبد الناصر والناصرية ، ثم مع النزعة القطرية داخل الحزب ومع نزعات التسلط على الحزب لتحويله من حركة تاريخية نضالية شعبية إلى ظل لحكم قطري بيروقراطي عسكري . وهكذا فقد أنسحبت فكرة البعث في بعض المراحل والظروف إلى حدود حركتها وتحملت نتائج الأزمات الّتي شهدتها سواء على صعيد علاقاتها الخارجية مع القوى الأخرى ، أو في علاقاتها الداخلية مع العناصر والمجموعات الّتي استخدمت السلطة سلاحاً لتخريب الحزب .

٦ — لقد حددت الفكرة الطابع الذي يجب أن تأخذه الحركة الثورية الّتي تحمل أسمها فنبهت إلى ضرورة توفر الشروط الأساسية التالية فيها وهي :

أ — أن تقوم على تفكير عربي شامل يقوم على دعائم ثلاث : الحرية والاشتراكية والوحدة العربية .

ب— ان يكون لها نظرة اخلاقية مستمدة من نظرة تقدمية تحررية

متصلة بالمفاهيم الانسانية الخالدة : أي من نظرة لا تناقض فيها بين الوسيلة والغاية .

ج — ان تكون بعيدة عن الجمود المذهبي وعن النزعة الفكرية المجردة .

د — ان تتحقق فيها صورة المستقبل بشكل ملخص وموجز .

ه — ان يكون النضال قانون حياتها الثابت والدائم .

وقد كان ثلث القرن الأخير مسرحاً للصراع الدائم بين الطموح والواقع حاولت من خلاله الايديولوجية العربية الثورية ان تكشف عمق التجاوب بين ما طرحه البعث من فكر قومي اشتراكي تحرري وبين المرحلة الثورية التي تمر بها الأمة العربية ، ومدى تخلف المؤسسات والبنى الراهنة عن الارتفاع إلى مستوى متطلبات هذا الفكر المناضل ،الذي يبدو بالنسبة إلى كل من يحاول ان يستوعبه وان يتعمق في دراسته على ضوء تطور الأحداث ، ظاهرة محيرة . فالذي قيل قبل ثلث قرن هو ما يمكن ان يقال اليوم ، والذي يظن بأنها نظرة قد أصبحت من الماضي ، يجد أن فكرها يطرح نفسه طرحاً متجاوباً مع حركة المستقبل ليؤكد من جديد بأنه كان ولا يزال مجهولاً لم يدرس بعد ولم يعط حقه من الأهمية وانه ما يزال محاطاً بأطار من الظلم يترسب من الماضي كجزء من مخططات التآمر على الحزب الذي شق طريق بعث الأمة في هذا العصر .

وإذا كانت هذه المقدمة قد كشفت لنا عن الموقف الفكري المتميز للحزب ، المتحرر من القوالب ، الذي يتحرى الحقيقة ، حقيقة الأمة ، ويلتزم بها —أي الموقف الفكري الملتزم بالنضال وباخلاق النضال ذي الكثافة الانسانية الحضارية .. فاننا مدعوون الآن لأن نكشف أبعاد النظرة الثورية الجديدة إلى الواقع العربي التي انطوت عليها فكرة البعث ، وان نحدد الوسيلة المطلوبة لتحقيق الأهداف التي تقوم عليها ، وان نتبين استراتيجية العمل الثوري الذي تتطلبه المرحلة .

النظرة الثورية الجديدة :

١ — لقد جاء تأكيد فكرة البعث على أهمية الظاهرة القومية وعلى

طابعها الانساني والعلماني بمثابة بناء فكري جديد يتجاوز النظرتين السائدتين : « اليسار اللاقومي واليمين اللاقومي » اللتين كانتا تنظران إلى القومية العربية نظرة سلبية .

٢ – الحرص على وحدة الشخصية العربية وعلى استقلاليتها . فالثورة على الحاضر هي تعبير عن نظرة تأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين ماضي العرب وحاضرهم ومستقبلهم . لأن تناقضات الحاضر لا يمكن أن تفهم بعمق الا على ضوء جذورها التاريخية ، والنظرة إلى المستقبل لا يمكن ان تكون منسجمة مع تطلعات الأمة إلا إذا اندرجت ضمن اطار هذه الصيرورة التي تربط الأبعاد الزمنية للحياة العربية ربطاً علمياً واقعياً يكشف القوانين الخاصة للتحرك التاريخي . ومن هنا كانت نظرة البعث إلى مركزية الوحدة ومركزية القضية الفلسطينية بالنسبة للثورة العربية وارتباطهما العميق بمصير القضية العربية ككل وبحياة الأمة العربية ومستقبلها الكلي .

٣ – تخليص المفهوم القومي العربي من رواسب النظرة العرقية ومن النزعات الشوفينية المتعصبة المغلقة المتخلفة ومن النظرة القومية اللا اشتراكية ، ومن النظرة الخارجية إلى مشكلات الأمة وخاصة النظرة الغربية ، وذلك عن طريق ربط القومية بالمرحلة التاريخية وبالحياة المعاصرة ، أي بتحليل عوامل التناقض والصراع في الحياة العربية المعاصرة وفي العالم الراهن .. وبلورة المفهوم الثوري الجديد للقومية العربية الذي يتجاوز المفهوم البرجوازي والبرجوازي الصغير ، والذي يعتبر القومية العربية المحرك النضالي الأساسي للحياة العربية في هذه المرحلة التاريخية .

فالمفهوم البرجوازي يرفض الاشتراكية ويساوم على التحرر وينظر إلى الوحدة على انها عملية تنسيق بين الأقطار وبين المؤسسات القطرية فهو مفهوم طبقي قائم على فكرة التضامن الطبقي الذي يحقق للطبقة البرجوازية استمرار تسلطها السياسي والابقاء على مصالحها الاقتصادية وتجميد التركيب الاجتماعي والأوضاع والقيم السائدة ، ومحاربة الأفكار

والتيارات وأنواع النشاط التي من شأنها أن تبشر بالتطور والتجديد والنزعات النقدية التي تكشف حقيقة الطبقة البرجوازية وحقيقة استغلالها وتسلطها ، وتجريد حملة ضد الفكر الاشتراكي وضد كل تفكير ثوري وحدوي .

أما المفهوم البرجوازي الصغير للقومية العربية ، فهو بدوره نابع من واقع هذه الطبقة المائعة التركيب ، المزدوجة التطلع ، فهو مفهوم وحدوي المظهر ، قطري الجوهر ، اشتراكي الشعارات ، معاد لدور الطبقة العاملة ، رافض لقيادتها ، غير مؤمن بالجماهير وبطاقاتها الثورية التاريخية ، وهو مفهوم بيروقراطي فوقي هادف إلى تحقيق مصالح قيادة طبقة البرجوازية الصغيرة ، حائل دون اطلاق فعالية الجماهير الثورية ودون مساهمة الطبقة للعاملة مساهمة حقيقية في القيادة السياسية . لذلك فهو شبه وحدوي ، شبه اشتراكي ، شبه تحرري . في حين ان المفهوم الثوري للقومية العربية مفهوم وحدوي اشتراكي تحرري قائم على نظرة ثورية تنطلق من وحدة القومية العربية . أي من وحدة العلاقة بين نضالها الواحدوي التحرري الاشتراكي ووحدة اهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية . لأنه ينظر إلى القومية العربية على ضوء الواقع الراهن للأمة العربية. أي على ضوء ظروف التخلف والتجزئة والاستعمار والصهيونية والاستغلال الطبقي .

فهو ينطلق من نظرة ثورية كلية وشاملة إلى المجتمع العربي في مرحلته التاريخية الراهنة ، فيرفض مظاهر التخلف والتفتت والاستغلال والاضطهاد ويمسك بأسبابها ويعمل على تغيير البنية الحالية لهذا الواقع على ضوء ادراكه للعوامل السلبية التي ابعدت الأمة العربية عن حقيقتها كأمة مناضلة لها رسالة تاريخية .

لذلك فهو يعبر عن سياق تاريخي جديد لا يمكن ان يفهم على ضوء التجارب القومية والمفاهيم المستمدة منها ، التي جاءت تعبيراً عن سياق تاريخي آخر مختلف ، وخاصة في أوروبا خلال القرنين الثامن عشر

والتاسع عشر ثم في مطلع القرن العشرين .

انه ، بكلمة واحدة ، تعبير فكري عن تجربة الأمة العربية المناضلة من أجل حل التناقضات التي تسبب ضياع الانسان العربي والجماهير العربية فهو مفهوم طبقي قومي يتحد من خـــلاله مفهوم الأمة بواقع وحاجات وطاقات الجماهير الثورية الكادحة بقيادة الطبقة العاملة العربية .

٤ — رفض النظرة التي تكتفي بالاصلاحات الجزئية ، لأن تناقضات المجتمعات في الأمم المتخلفة وأمتنا واحدة منها ، قد وصلت إلى حدود غير معقولة وغير مقبولة لا منطقياً ولا أخلاقياً ، وغير قابلة للمعالجات الاصلاحية الجزئية لأن التحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي يستطيع ان يوجه هذه المعالجات ضمن اطار مخططاته ومصالحه . وهكذا فإن ظروف التجزئة والتخلف والاستغلال الطبقي والاستعمار تحتم ، في رأي البعث ، الصفة الثورية للقومية العربية والصفة الثورية لخط نضالها الذي يرفض منطق الاصلاح الجزئي وكل شكل من أشكال المعالجات السطحية التي تقفز من فوق هذه الظروف الموضوعية أو تستسلم لها . فالانتساب إلى القومية العربية يعني الثورة الشاملة على الواقع الراهن للأمة العربية . والنظرة الثورية هي الشرط الأول لجدارة الانتساب إلى القومية العربية .

٥ — رفض النزعات الشوفينية في التجارب القومية التي قادتها البرجوازية في الغرب ، والنظر إلى القومية العربية كتجربة تحررية من الاستعمار وتجربة انسانية تلتقي بشكل عفوي مع تجارب التحرر التي ترفض الاستعمار وترفض العيوب الكامنة فيـــه : امراض التعصب والتحكم والطغيان .

٦ — النظر إلى (العمل من أجل تحرير الأمة من التخلف ومـــن جميع التناقضات التي تبعد الواقع الراهن للأمة العربيـــة عن حقيقتها الايجابية) على انه عمل منسجم مع اتجاه التاريخ ، لأن هذا العصر كما يقول الاستاذ ميشيل عفلق « هو عصر الجماهير ، جماهير آسيا وافريقيا

التي عانت أعمق تجربة إنسانية من الاستعباد الخارجي والداخلي ، من الظلم الوطني والأجنبي » .

٧ — ان النظرة الثورية الجديدة إلى الواقع العربي تتحدد من خلال نظرة البعث إلى الماضي أي إلى التراث ومن خــلال النظر إلى الحاضر وتناقضات الواقع الراهن . كما انها تشمل المستقبل ، هذا المستقبل الذي تصنعه الثورة العربية وتتحدد معالمه على ضوء « حاجات الأمة العربية التي تهتدي اليها بملء الحرية . فبقدر ما تكون الأمة حرة بالسعي نحــو مستقبلها ، تكون منسجمة مع نفسها مخلصة لشخصيتها وعبقريتها » .

٨ — هذه النظرة تعتبر التقدمية (٣) « استئنافاً لسير الأمة في تاريخها الحي الصاعد . فهي تحرر من أثقال القيود والرواسب التي تراكمت على صدر الأمة خلال الفترة الطويلة التي توقفت فيها عن السير . وهي استرداد لهذه الروح الحرة المبدعة » عن طريق النضال الذي « نخلق بواسطتــه شخصيتنا من جديد » .

لذلك فهي تعتبر (الرجعية) « خيانة مزدوجة للأمة في ماضيها ومستقبلها معاً » .

٩ — ان هذه النظرة تعتبر ان الثورات في التاريخ قد بالغت في التشديد على العوامل الذاتية ، كما ان الثورات المعاصرة بالغت في التشديد على العوامل الموضوعية ، وان النظرة الثورية إلى التجربة العربية يجب ان تحقق التوازن بين الموقفين ، وان تنطلق من نظرة جدلية كاملة وان لا تنظر إلى هذه العلاقة الجدلية نظرة مجردة عن محتواها المشخص ، فربط القوانين العامة بالظرف الخاص وبالواقع الحي وبالمرحلة التاريخية هــو أساس النظرة الثورية العربية التي لا يجوز ان تكتفي أيضاً بالتركيز على العوامل الخارجية التي خلقت ظروف التجزئة والتخلف والاستغلال والاضطهاد لأن هذا التركيز قد ينطوي على نوع من التساهل في الأحكام

---

(٣) نضال البعث ، الجزء ٢ ص ٤٠ .

مع النفس وعلى نظرة جزئية وسطحية إلى المشكلة القومية . وقد يشكل مظهراً من مظاهر ضعف القدرة على ممارسة النقد الذاتي وتحمل المسؤوليات التاريخية. لذلك يقول الاستاذ ميشيل عفلق عام ١٩٥٥ : « آن للعرب ان يضعوا حداً للاعذار والتهرب من المسؤولية والقاء جميع التبعات على الاستعمار ، وان ينظروا إلى مشاكلهم نظرة عميقة من الداخل ، ويعتبروا انفسهم وحدهم المسؤولين عن مصيرهم أولاً وآخراً » .

١٠ — ان هذه النظرة تؤكد على « اختلاف مفهومنا للعروبة عن المفاهيم التقليدية » لأنه (٤) « بعيد عن مفهوم القومية المتعصبة التي هي من نتاج الاستعمار ، وعن الدعوات الطائفية التي وجدت لتدعيم الاستعمار ، وانها بعيدة عن الجمود والتحجر وعن الاعتزاز بالنسب والأصل فهي انسانية . وهي تقديس للشعور القومي الانساني عند كل شعب آخر » .

١١ — في النظرة إلى الماضي ، تتميز نظرة البعث بأنها نظرة حية إلى التراث فهي تتناول التجربة الثورية العربية في الماضي فتقول (٥) : « في حياتنا القومية حادث خطير ، وهو حادث ظهور الإسلام .. حادث قومي وانساني عالمي فيه تجربة هائلة من تجارب الانسانية . فهو عند ظهوره حركة ثورية ، ثائرة على أشياء كانت موجودة : اعتقادات وتقاليد ومصالح .. ان حالة الثورة هي حالة واحدة لا تتجزأ ، لها نفس الشروط النفسية ، ولها نفس الشروط الموضوعية أيضاً إلى حد كبير . ولذلك من الطبيعي أن يكون الجيل الثوري ، الجيل الثائر على القديم الفاسد ، أقرب الناس إلى الاسلام فهماً وتحسساً وتجاوباً » .

ان هذه النظرة الثورية إلى الماضي تنبع من مقياس ثوري إلى الدين بوجه عام فبهذا المقياس « لا دين مع الفساد والظلم والاستثمار ، والدين

---

(٤) في سبيل البعث ، ص ١٦٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٠٢ .

الحقيقي هو دوماً مع المظلومين ومع الثائرين على الفساد » .

١٢ — ان النظرة العربية الثورية حسب منظور البعث : « تتطلب النظرة الشاملة إلى الظروف العالمية والعربية ، وتفترض مستوى حاراً من النضال ، مستوى لا يقبل انصاف الحلول وانصاف التضحيات ولا يقبل الفتور » . ان هذا المنظور هو الذي يحدد أيضاً مستوى الانتساب إلى الأمة العربية ،فالأمة العربية ، كما يقول الاستاذ عفلق ، « متحققة في كل مكان من الوطن العربي يوجد فيه نضال ، وبشكل خاص إذا كان جدياً يواجه الموت في كل ساعة .. » ليس هذا فحسب ، بل ان هذا المنظور يحدد من هو الانسان الحقيقي في مجتمع كالمجتمع العربي . فالاستاذ عفلق يتابع قوله بأن (٦) « الرجل الذي يقف في وجه الموت هو الانسان الصحيح ، لأن في هذه اللحظة يستطيع أن يكشف زيف الاعتبارات التي كانت تكبله : العصبيات والمصالح .. لأن الموت أقوى من كل شيء مصطنع .. » وينتهي الاستاذ عفلق إلى اعتبار الكفاح المسلح هو مؤشر الوجود للأمة العربية « أمتنا اذن موجودة في كل مكان يحمل فيه افرادها السلاح » هذا الكلام الذي قيل عام ١٩٥٦ يكشف طبيعة الأساليب التي كانت تمارس بأسم الثورة والنضال وهي بعيدة عن تمثيل المحتوى الحقيقي لفكرة البعث .

١٣ — ان هذه النظرة الثورية الجديدة تنطلق من رؤيا جدلية للعلاقة بين النضال القومي الوحدوي وبين النضال الطبقي الاجتماعي في هذه المرحلة من حياة العرب ، ومن اعتبار الطبقة العاملة هي الفئة التي تجسد عملياً هذه العلاقة .

« إذا كان في وطننا العربي فئة مهيأة لأن تتحرر قبل غيرها من المصالح الخاصة ومن رواسب عقلية التجزئة وان تجسد في تفكيرها ونضالها وحدة القضية العربية، فانها تكون فئة العمال العرب بصورة خاصة وجماهير

---

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٥١ — ٢٦١ .

الشعب العربي الكادحة بوجه عام ، لأن هذه الجماهير تعاني بالتجربة اليومية الحية هذه الحقيقة الناصعة ، وهي ان اعداءها هم انفسهم اعداء الأمة العربية » (٧) .

وهكذا فان وحدة العلاقة بين النضال القومي والاجتماعي هي في أساس هذه النظرة الثورية الجديدة (٨) :

« لا نفرق في النضال في سبيل قضيتنا العربية الواحدة بين ما هو اجتماعي اقتصادي وبين ما هو قومي لأن نجاح هذه القضية رهن بأبقائها وحدة » .

وهذا الربط بين القومي والطبقي لا يتم إلا بالنضال ومن خلال النضال فالمشكلة ، كما يقول الاستاذ عفلق (٩) ، « ليست سهلة لأن علينا ان نبقي التوتر بين طرفي المشكلة وان نحذر دوماً ان تضيع الفكرة القومية وتلتبس مع المصالح الطبقية المجرمة حين يتغنى أصحاب هذه المصالح كذباً وبهتاناً بالمصلحة القومية » .

اذن العلاقة بين القومي والطبقي هي نتيجة طبيعية لطرح المشكلة القومية كوحدة لا تتجزأ ، حيث يشكل الصراع الطبقي جزءاً لا يقوم مقام الكل فالمشكلة أوسع وأعمق « هي مشكلة وطن مجزأ مستعمر في بعض أجزائه . والتجزئة هي أكبر عائق في طريق نهضته ، وهي مشكلة وطن متخلف في شتى النواحي : في الفكر والاقتصاد وفي كل شيء ، ويحتاج إلى أن يبنى فيه كل شيء من جديد » (١٠) ان هذه النظرة تندرج ضمن اطار نظرة أشمل إلى العالم الثالث حيث الأمم المظلومة لا الطبقات المظلومة فحسب (معركة المصير الواحد ، ص ٥٠) .

١٤ ــ ان هذه النظرة الثورية الجديدة قد وضعت ضوابط للعمل النضالي ومعايير للحكم على سلامة خطه وحاولت أن تؤكد وحدة العلاقة بين النظرية الثورية والستراتيجية الثورية والتاكتيك الثوري ، وكذلك

---

(٧) نفس المصدر ، ص ٣١٤ .

(٨) نفس المصدر ، نفس الصفحة.

(٩) نفس المصدر ، ص ٣٢٢ .

(١٠) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

وحدة العلاقة بين الفكرة والتنظيم ، بين الأهداف وبين التطبيق الآني المرحلي لهذه الأهداف (١١) :

« ان ما نريده لأمتنا بعد عشرات السنين يجب أن يظهر ويتجسد منذ الآن في نضالنا .. إذا لم يكن المناضلون محققين لقيم الانقلاب منذ البدء فمن المستحيل ان نصدق بأنهم سيتغيرون عند استلامهم الحكم ، بل ان السلطة والقوة عرضة للأغراء ومجلبة لضعف النفس بدلاً من رفعها إلى مستوى تلك القيم » .

كما حددت هذه النظرة مستوى العمل النضالي ومقاييسه ، حيث تؤكد على « ان العرب يجتازون مرحلة تاريخية يرافقهم فيها الحق والحرية كأنهما قدر محتوم .. وان هذه المرحلة تجربة جدية وامتحان لقدرتنا ليس على التحرر من الاستعمار فحسب ، بل على إعادة النظر في أوضاعنا ومقاييسنا الفكرية والخلقية .. يهمنا ان نربح المعركة في نضالنـــا ضد الاستعمار دون ان نفرط بشيء من اتجاهنا القومي الانساني ودون ان يترك الاستعمار في نفوسنا وعقليتنا أثراً وعدوى . بل يهمنا ان نربـــح المعركة ضد الاستعمار بفضل حرصنا ومحافظتنا على اتجاهنا هذا » (١٢).

١٥ — كما أن لهذه النظرة الثورية الجديدة مفهومها الخاص للزمن وهو مفهوم ينبع من مفهوم الثورة ذاته . فالثورة عملية جوهرية لا تحتمل الاصطناع والزيف والسطحية ، هي كالحياة لها قوانينها الطبيعية فالتحايل على الزمن كالتحايل على الحياة لابد ان يؤدي إلى نتائج بعيدة عـــن الجدية . والمهم بالنسبة للعرب حسب النظرة الثورية الجديدة (١٣) ، « أن يدخلوا جو الحياة الجدية » .. « فلو خير العرب بين ان يحققوا أهدافهم بأسرع وقت ممكن » بفضل الاعتماد على غيرهم « وبين ان

---

(١١) معركة المصير الواحد ، ص ٦٥ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ٩٠ .

، ص ٢٢ — ٢٩ .

يتابعوا ثورتهم بأسلوبهم المستقل المستلهم من ظروفهم وحاجاتهم ونظرتهم إلى الحياة والانسان ، ولو كلفهم ذلك تأخير تحقيق هذه الأهداف بضع سنين أو أكثر » لوجب في نظر البعث « ان يفضلوا الطريق الطويلة مقابل حرصهم على بعض القيم الأساسية » .

١٦ — ان نظرة البعث تعرف نفسها بأنها (١٤) « فكرة إيجابية تنتهي دوماً إلى تقرير حقائق إيجابية » وعلى ضوء هذه النظرة يكون فهمها للقومية فهما إيجابياً :

« هذا هو فهمنا الإيجابي للقومية : بأنها هي هذا المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين افرادها وبين الظروف الطبيعية والتاريخية التي مرت بها والتي نسجت فيما بينها روابط روحية مشتركة ، أهمها وأعلاها هي رابطة الثقافة » (١٥) .

١٧ — ثم أن هذه النظرة الثورية الجديدة تحدد مبررات نشوء حركة جديدة تعبر عن مستوى جديد يلبي حاجة الأمة العربية إلى معالجة مشاكلها معالجة جذرية وكلية ، تستند إلى نظرة داخلية تتمتع بتجربة كبيرة :

« ان نشوء حزب البعث هو نتيجة حاجة إلى معالجة مشاكل الوطن العربي معالجة جذرية وكلية ، وعلى أساس ان هذا الوطن يشكل وحدة وان شعبه يشكل امة » (١٦) .

١٨ — ثم ان هذه النظرة الثورية الجديدة تحدد نفسها بالقول : « لقد حققت الأمة العربية في السنوات الأخيرة تقدماً واضحاً في طريق الثورة والانبعاث .. والسبب الأول والأهم في هذا التقدم هو ظهور نظرة جديدة في العمل القومي العربي لم تبلغ بعد مستوى النظرية ويمكن اجمالها في شيئين أساسيين : الاعتماد على الشعب واعتباره القوة الثورية

---

(١٤) في سبيل البعث ، ١٩٥٠ ، ص ٢١٤ .
(١٥) معركة المصير الواحد ، ص ١٤٥ .
(١٦) نفس المصدر ، ص ١٣٩ .

الوحيدة الفعالة واعتبار القضية العربية كلاً متماسكاً لا يتجزأ » (١٧).

وعن طريق هذه النظرة الجديدة أصبحت القومية العربية مرادفة للثورة على التخلف والتجزئة والظلم الاجتماعي . أي توحيد وتحرير وتطور الوطن العربي وتثبيت لقيم ديمقراطية وإنسانية .

١٩ — ان أداة هذه الايديولوجية الثورية هي الجماهير الكادحة والطبقة العاملة والحزب الثوري الوحدوي والجبهة الشعبية على نطاق الوطن العربي ، أي جميع القوى التي تمثل حقيقة الأمة في كفاحها . ففي حديث للاستاذ عفلق في الدار البيضاء عام ١٩٦٠ يقول (١٨) :

« ان ظروف الكثرة الساحقة الكادحة والمظلومة المستغلة من أبناء شعبنا ، وأوضاعها ، وقوتها .. قد هيأتها لأن تكون هي محرك التاريخ في هذه المرحلة .. لأن تكون هي المنقذة للأمة .. لأن تكون طليعة الأمة المناضلة وصورتها الصادقة » .

(عام ١٩٧٣)



---

(١٧) نفس المصدر ، ص ١٨٥ .

(١٨) في سبيل البعث ، ص ١٩٤ .